القيم الإنسانية في خطابات أبي عبيدة خلال معركة طوفان الأقصى 2023م

Human Values in Abu Ubaida's Speeches during "Operation Al-Aqsa Flood" (2023): An Analytical Study

أ. إسمهان عدوان♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال:DOI 10.33705/0114-028-001-016

تاريخ الإرسال: 2025/07/17 تاريخ القبــول: 13 / 10/ 2025 تاريخ النشر: 2026/03/15

ملخص: الدراسة نسعى من خلال هذه الورقة البحثية رصد واستكشاف القيم الإنسانية المتجلية في الخطاب الاعلامي لأبي عبيدة الناطق العسكري لكتائب القسام، وذلك بتحليل عينة من خطاباته في ظل العدوان الصهيوني الإسرائيلي على غزة، وذلك بالكشف عن كيفية توظيف أبي عبيدة للقيم الإنسانية مثل الانسان، الكرامة، الجهاد، الرحمة، في سياق الحرب، وكيفية استثماره لهذه المفردات لغويا لترسيخ رمزية المقاومة، وتعزيز الوعي الجمعوي للشعب الفلسطيني والعربي الاسلامي، ليعيد بذلك تشكيل المفاهيم الإنسانية في ضوء استمرار معاناة الشعب الفلسطيني، جامعا بين المقاومة والحق الإنساني للشعب الفلسطيني في الحياة، والحرية، والكرامة، ومدى قدرته على بناء خطاب مقاوم ذي بعد انساني عابر للحدود الجغرافية إلى العالمية.

الكلمات المفتاحيّة: القيم الإنسانية؛ أبي عبيدة؛ معركة طوفان الأقصى؛ الخطاب اللغوي.

♥ جامعة الجزائر 2.

البريد الإلكتروني: doctorat.ismahanadouan@gmail.com (المؤلّف المرسل).

Abstred: This research paper aims to explore the human values embedded in the media discourse of Abu Ubaida, the military spokesperson of the Al-Qassam Brigades, through an analysis of selected speeches delivered during the Israeli aggression on Gaza. The study examines how Abu Ubaida linguistically employs concepts such as humanity, dignity, jihad, and mercy within the context of war to reinforce the symbolic significance of resistance and to promote collective awareness among the Palestinian, Arab, and Islamic communities. Furthermore, the paper investigates how his discourse reconfigures human values in light of the ongoing suffering of the Palestinian people, integrating the notions of resistance with the Palestinian people's fundamental human rights—life, freedom, and dignity—thus constructing a resistant discourse with a human dimension that transcends geographical borders toward a global reach.

Keywords: Human values, Abu Ubaida, Al-Aqsa Flood Battle, linguistic discourse.

مقدمة وإشكالية الدراسة: أولت الشريعة الإسلامية العناية الفائقة لكرامة الإنسان في مختلف الشرائع الفكرية عبر التاريخ، فجعلت حفظ حياته وكرامته من أسمى المقاصد التي بني عليها الإسلام، فقد جاءت الاحكام الشرعية لتنظيم شؤون الإنسان في مختلف مجالات الحياة، على نحو يضمن له الأمن والعدل والرحمة، ويصون كرامته الممنوحة له من الله تعالى مصداقا لقوله: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾، وقد تجلت هذه العناية في تشريعات واضحة تحرم الظلم، وتدعو إلى حفظ النفس، وتنهى عن التعدي على الأطفال والمدنيين والنساء، وتوصي بحسن معاملة الاسرى، حتى في أوقات النزاع والحروب ومنع التعذيب، واحترام العهود والمواثيق، بل والدعوة إلى السلم متى أمكن، قال تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾، غير أن واقع الحروب المعاصرة يشهد تجاوزا صارخا لهذه المبادئ، حيث تنتهك الحقوق وتهان الكرامات، وتهمش

الاعتبارات الأخلاقية والإنسانية، وهنا تبرز أهمية القيم الإنسانية بوصفها معيارا يعيد التوازن للعلاقات البشرية، ويضبط سلوك الأفراد والجماعات في ظروف استثنائية، وقد لقيت هذه القيم اهتماما واسعا في الفكر الإنساني والفلسفات الأخلاقية، إلا أن الشريعة الإسلامية كانت سباقة في تأصيلها وترسيخها مقدمة بذلك نموذجا راقيا للحفاظ على إنسانية الإنسان حتى في أشد لحظات التوتر والصراع، فتعد القيم الإنسانية من الركائز الأساسية التي قامت عليها الشريعة الإسلامية، إذ جعلت من حفظ النفس البشرية وصيانة كرامتها مقصدا شرعيا ثابتا، لا يسقط حتى في أزمنة الحرب والصراع، وفي ظل معركة طوفان الأقصى وما رافقها من دمار واسع وانتهاكات جسيمة ارتكبها الكيان الصهيوني الإسرائيلي بحق المدنيين العزل الأبرياء، برز خطاب أبي عبيدة نموذجا لمقاومة مسلحة تحرص على تأصيل البعد الأخلاقي والإنساني في خطابها، فيتميز خطاب أبي عبيدة بارتباطه بالواقع الميداني من جهة، وبالتطلعات الأخلاقية من جهة ثانية، إذ لا يسعى فقط إلى الانتصار العسكري، بل إلى بناء صورة مقاومة أخلاقية تختلف عن العدو المحتل، ففي خطابه تظهر اللغة المؤطرة بمفاهيم دينية إنسانية، تسعى لتبرير أفعال المقاومة ضمن الإطار الشرعي الأخلاقي، وبذلك فإن الخطاب الذي يصدر عن جماعة إسلامية مقاومة كخطاب أبي عبيدة يفترض فيه أن يستند إلى هذه المرجعية ليس فقط لتبرير الفعل العسكري، بل لإضفاء المشروعية القيمية عليه ولتأكيد على أن المقاومة لا تنفصل عن الأخلاق الإسلامية، حتى في ظل الجرائم الصهيونية المتكررة والمتواصلة على مر السنوات.

ومنه تمثلت إشكالية البحث فيما يلي:

-كيف عبر خطاب أبي عبيدة في معركة طوفان الأقصى عن القيم الإنسانية المستمدة من الشريعة الإسلامية في ظل جرائم الاحتلال الصهيوني الإسرائيلي ومقتضيات الحرب؟

وتنبثق عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات، أهمّها:

-كيف تجلت القيم الإنسانية مثل: الرحمة، العدل، الشهادة، الكرامة في خطاب كتائب القسام؟

-ما الأبعاد البلاغية والتداولية التي استخدمت لترسيخ هذه القيم في وعي المتلقي؟

-إلى أي مدى تمكن أبي عبيدة في خطابه من الموازنة بين منطق القوة ومبادئ الأخلاق الإسلامية في سياق الحرب؟

أهداف الدراسة:

-استجلاء مظاهر القيم الإنسانية المتجلية في خطاب المقاومة الفلسطينية مثل: الكرامة، العدل، معاملة الأسرى؛

-الكشف عن الآليات البلاغية والتداولية التي استخدمت لترسيخ هذه القيم في وعي المتلقي المحلي والدولي؛

-الكشف عن المرجعية الشرعية للقيم الإنسانية في الإسلام، وتبيان موقع الكرامة الإنسانية ضمن مقاصد الشريعة، خاصة في سياق الحرب والدفاع المشروع.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تتناول خطابا سياسيا عسكريا صادرا عن الناطق العسكري لكتائب القسام أبي عبيدة، خلال معركة طوفان الأقصى، محاولة الكشف عن تجليات القيم الإنسانية المستمدة من الشريعة الإسلامية، في الخطاب، وتتمثل أهمية هذه الدراسة في إبراز البعد الأخلاقي الذي يصاحب الفعل المقاوم، من خلال دراسة لسانية لغوية تحليلية تجمع بين خطاب القوة ومقتضيات العدل والرحمة، كما تسهم الدراسة في توسيع دائرة الاهتمام بالخطاب المقاوم في الدراسات الاكاديمية، وربطه بالمنظور الشرعي والقيمي، لاسيما في ظل ما يشهده الواقع من تشويه لصورة

المقاومة الإسلامية، كما تكمن أهمية الدراسة في توظيفها للمقاربة التداولية كأداة لتحليل وتفكيك البنية الخطابية واستخلاص أبعادها القيمية مما يمنحها بعدا إقليميا وتطبيقيا في آن واحد.

مقاربة الدراسة: اعتمدنا في هذه الدراسة على المقاربة التداولية لأنها الأقرب لتحليل خطاب أبي عبيدة الناطق العسكري لكتائب القسم في معركة طوفان الأقصى، وذلك لفهم كيفية توظيف القيم الإنسانية في الخطاب المقاوم ودراسة تأثيرها على المتلقي، فهذه المقاربة توفر إطارا دقيقا لفهم التأثير النفسي والاجتماعي للخطاب المقاوم الذي يلقيه أبي عبيدة، وكيفية استخدامه لهذه القيم الإنسانية المتمثلة في الكرامة، العدل، الشهادة...، لتوجيه مشاعر المتلقي وتبنيه لمواقف المقاومة.

مجتمع البحث وعينة الدراسة: يتكون مجتمع البحث من خطابات أبي عبيدة الرسمية الناطق العسكري لكتائب القسام، خلال معركة طوفان الأقصى التي اندلعت بتاريخ السابع من أكتوبر 2023، ويشمل هذا المجتمع كافة المواد الخطابية المتاحة عبر الوسائط الإعلامية الرسمية لكتائب القسام، والمنصات التابعة للمقاومة، إضافة إلى ما تداولته عبر القنوات الفضائية الموثوقة والمنصات الرقمية الموثقة. أما عينة الدراسة فقد تم اختيارها قصديا لخطابات أبي عبيدة المركزية الأكثر تداولا وتأثيرا، لما تضمنته من مواقف أخلاقية ونداءات إنسانية وتصريحات تعكس التزام المقاومة بالقيم الإسلامية في التعامل مع الأسرى والمدنيين.

أولا: مفاهيم الدراسة: تعد المفاهيم نقطة مركزية في أي دراسة علمية، إذ تمثل الإطار المرجعي الذي تبنى عليه التحليلات والتفسيرات، وانطلاقا من تحديد المفاهيم الأساسية، تتناول هذه الدراسة مجموعة من المصطلحات التي تشكل مرتكزاته النظرية والمنهجية والتي يستند إليها لفهم طبيعة القيم الإنسانية التي وردت في خطاب معركة طوفان الأقصى لأبي عبيدة. حيث يحظى

موضوع القيم بمكانة مركزية في البناء الفكري والأخلاقي والإسلامي، إذ جاء اهتمام الإسلام بالإنسان واحترام، حاجياته والسعي إلى تحقيقها، إن منطق تقدير الإسلام للإنسان فرداً أو جماعات، وجاءت عنايةَ الإسلام بالمجتمع الإنساني، وعلاج مشكلاته منذ أن خلق الله آدم في الأرض؛ وذلك لأنه دين إنساني، جاء بتكريم الإنسان وتحريره، ففيه تتعانق المعاني الروحية والمعاني الإنسانية، وتسيران جنبًا إلى جنب، كما أن الإسلام لا يتصور الإنسان فردًا منعزلاً ومنفصلاً عن أقرانه، بل يتصوره دائمًا في مجتمع يتأثر به ويؤثر فيه. وقد أرسى الإسلام مجموعة من القيم والمقومات الكفيلة . باحترامها والعمل وفقا لها . بإبراز مكانة الإنسان في الإسلام.

1-القيمة لغة: مفردها، والباء أصلها الواو، قام يقوم، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، تقول تقاوموه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه.

. ويطلق لفظ القيمة من الناحية الموضوعية على ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقا للتقدير كثيرا او قليلا، فإن كان مستحقا للتقدير بذاته كالحق والخير والجمال، كانت قيمته مطلقة، وإن كان مستحقا للتقدير من أجل غرض معين كالوثائق التاريخية والوسائل التعليمية كانت قيمته إضافية[1].

2-القيمة اصطلاحا: هي الصفات المرغوبة اجتماعيا في مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي، وهي ذات تأثير في سلوك الناس وعلاقتهم، كما انها تملك الخصوصية في تأطير العالم من حيث روابطه الأساسية، والأخلاقية والعلمية والاجتماعية وغيرها. وفي ظل غياب قيم الفضيلة ينقلب المجتمع إلى غابة ذات أحراش يضل ساكنها ويستوحش قاطنها. يطلق لفظ القيمة في علم الاخلاق على ما يدل عليه لفظ الخير، بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما يتضمنه من خيرية[2].

3-القيم الإسلامية: مجموعة من المعايير والْحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة[3].

4-القيم الإنسانية: تعرف القيم الإنسانية على أنها الفضائل التي تواجه الإنسان إلى مراعاة العنصر البشري عندما يتفاعل مع أشخاص آخرين وتعرف القيم أيضا بأنها عبارة عن أهداف الإنسان المرغوبة التي تكون فعالة من خلال موافقة، ومرتبة حسب أهميتها له، وتوجه الإنسان نحو اختيار، وتقييم سلوكه، كما أن هذه القيم التي يمتلكها الفرد لن تكون فطرية وإنما نتيجة التنشئة الاجتماعية للفرد التي ينشأ عليها من وقت ولادته وتستمر معه طول حياته وتشتمل القيم الإنسانية على الاحترام الاستماع، التعاطف، المودة الرحمة التقدير...، من خلال هذه القيم يصبح المرء قادرا على التحلي بالقيم الأخلاقية مثل العدالة، النزاهة، العنف، منع القتل كما تشكل وسيلة للإدارة العلاقات الإنسانية وأداة للسلام، وتحفز الفرد على التفكير والتحدث بطرق معينة هي بمثابة معايير حيث تضع له قيودا على سلوكه ويشار إلى أن معظم القيم تتصف بالحب، الفرح، السلام، اللطف، الخير[4].

ثانيا: القيم الإنسانية في الإسلام وأهميتها: عنيت الشريعة الإسلامية -من بين ما عنيت بالإنسان وحقوقه، حيث ضمت مبادئ وأسسا تبنى عليها كرامة الإنسان واحترام آدميته، بما يصلح وقت السلم ووقت الحرب على سواء، عنيت الشريعة الإسلامية بتحديد وتنظيم العلاقات بين البشر مع بعض وكذا الحكام مع محكومين، وأوضحت ما يلزم ابتعاده لحفظ المقاصد التي نزلت من أجلها كافة الشرائع السماوية، ومن أجل ذلك شرع الإسلام حقوقا للإنسان، ووضع ضمانات لاحترام آداميته، بأن زجر وعاقب على المساس بها ظلما وعدوانا

وقد انطلقت هذه الحقوق من مجموعة من المقومات وأسست الضمانات عليها وتحددت أبعادها في إطارها. ويخرج الإنسان من حصون الجهل والظلام[5]. فالدين الإسلامي دين إنساني يساوي بين الناس جميعا في الحقوق والواجبات ويعاملهم بالعدل والرحمة مهما اختلفت ديانتهم وأعرافهم وبصفة عامة من وسائل الاعلام وغيرها من المواقع والكتب والمجالات تعتبر أن الإنسانية مجموعة من الجوانب الإيجابية الأخلاقية، ولهذا فسوف نوضح مفهوم الإنسانية في النظرية الأخلاقية[6].

لقد أوضحتْ الشريعة الإسلامية، وأكدت سلوكيات المسلمين بعد ذلك على المبادئ والأسس الإنسانية للتعامل أثناء الحروب واحترام آدمية الإنسان في معاملة ضحايا الحروب وغير المشاركين في العمليات القتالية. ولم تدرك النظم البشرية الوضعية هذا التوجه الإنساني في العمليات القتالية وعدم المغالاة في استعمال أدوات القتل والتدمير أو التعسف في استخدامها، وأرستها الشريعة الإسلامية، وإن كانت هذه الشريعة تحتفظ بكونها أعمق وأشمل من أي تنظيمات وضعية، محلية كانت أو دولية[7].

وتعد القيم من المفاهيم المركزية في البحوث الفلسفية والاجتماعية والدينية لما لها من دور محوري في توجيه السلوك الإنساني، وصياغة الوعي الجمعي وتشكيل البنية الثقافية للأمم، وفي هذا السياق يقدم الإسلام منظومة قيمية شاملة متكاملة تستند إلى الوحي الإلهي ممثلا في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتستهدف بناء الانسان في أبعاده الروحية والعقلية، السلوكية الاجتماعية، وتمثل القيم الكبرى في الإسلام كالتوحيد، العدل، الكرامة، والحرية والتضامن/ أطرا مرجعية تتجاوز حدود الزمان والمكان، وتسعى الى إقامة مجتمع متوازن يقوم على الايمان والعمل الصالح، والعلاقات الإنسانية الرشيدة ومن هنا تكتسي دراسة هذه القيم أهمية بالغة في فهم الرؤية الإسلامية للإنسان

والعالم، والكشف عن مدى قدرتها على الاسهام في بناء حضارة تناسقية قائمة على العدل والسلام والتعايش، ومن هذا المنطلق فإن هذه الدراسة تعد مدخلا لفهم عمق الرسالة الإسلامية، وفاعليتها في توجيه السلوك الإنساني نحو الخير والحق والعدل.

قيمة السلام: إن الإسلام دين السلام، وهذه قضية مسلمة، فالمتأمل للنصوص القرآنية والهدي النبوي يجدها تعالج قيمة السلام معالجة موضوعية تشمل مجالات الحياة كلها، وتراعي التغير الحضاري لنسق التعايش الإنساني مع مختلف المجتمعات، وتجعلها دعوة عامة للإنسانية جمعاء، مقتضاها الدخول في السلام، ونبذ التشدد والعنف والعدوان، يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾[8] يونس 25. وقد أسس الإسلام لقيمة السلام وما يتصل بها من قيم إنسانية سامية كالتسامح، والتعايش، ولاحترام، وقبول الاخر...، ودعا إلى ترسيخها بين الناس ونبذ كل ما يخافها من أشكال الكراهية، والعنف والتفرق، والنزاع، والخصومة والاقصاء. ويعني مصطلح السلام على مستوى العلاقات الدولية والاجتماعية غياب النزاع، وتحقيق العدالة والاستقرار الاجتماعي، والرفاهية الاقتصادية والرحية الأساسية[9].

فيكون السلام بذلك حالة من الطمأنينة في المجتمعات الإنسانية، ناتجة عن تبني أفرادها قيم التعايش والتسامح، ونبذهم للعنف والتطرف، وبعدهم عن الصرعات والنزاعات، وضمانهم الحقوق الطبيعية والأساسية التي تضمن للفرد الكرامة والمساواة دون تمييز، وتؤدي إلى الاستقرار والازدهار، فالإسلام جاء برسالة تعلي من شأن السلام، فجعل منه غاية دينية وسلوكا اجتماعيا، وقرنه بالإيمان، والتقوى، فدعا الإسلام إلى السلام مع الذات، وشرع أحكاما تحفظ الحقوق وتمنع العدوان، ونبذ العنف والتطرف ودعا إلى ترسيخ مبادئ الرحمة

والتسامح والعدل، وقد اتخذ الإسلام من السلام غاية عليا، فجعله تحية المسلمين، وأمر بالسلم في حال النزاع.

وتعد القضية الفلسطينية إحدى أهم قضايا العالم التي لم تكن العدالة فيها منصفة أو عادلة إلى طرف الحق وهذا من خلال ما يعانيه الشعب الفلسطيني في غزة، وفي مدن فلسطين المحتلة كافة، حيث تشارك الغرب مع الكيان الصهيوني في إبادة الشعب الفلسطيني، وهو أكبر دليل على غياب العدل والإنسانية في قلوب البشر الأخوة الإنسانية والدينية "فلسطين نموذجا.

قيمة الكرامة الإنسانية: إنها احترام المرء ذاته، وهو شعور بالشرف والقيمة الشخصية يجعله يتأثر ويتألم إذا ما انتقص قدره. ويمكن أن نعرف الكرامة الإنسانية بأنها: معاملة الانسان على أنه غاية بنفسه، وليس وسيلة أو أداة، وأن يحترم لأصل إنسانيته، وليس لما يملكه من جاه ومال، أو لما يتمتع به من صفات جسمية او عقلية، أو لما يتصف به من مواهب وعطاءات.

وتتجلى أهمية الكرامة في قوله تعالى: ﴿يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم﴾ الانفطار6، وقال سبحانه وتعالى على لسان سليمان عليه السلام (فإن ربي غني كريم) النمل 40، وفي منح ابن أدم الكرامة قال سبحانه وتعالى: ﴿ولقد كرمنا بني أدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ الاسراء 70، ففي هذه الآية إقرار بشرف خلق بين أدم وتميزهم عن سائر المخلوقات ورفعة منزلتهم، مما يدل على أهمية الكرامة الإنسانية في الإسلام أن القران الكريم أشار لمصطلح الكرامة في عدة آيات من كتاب الله وكلها تحمل معنى الكرم والإحسان في المعاملة، سواء اتصلت بالعلاقة بين الله والانسان، أم بين البشر في معاملاتهم الدنيوية، ويأتي تفصيل ذلك في مظاهر الكرامة الإنسانية في الإسلام.

ومن هنا جعل القرآن الكريم حياة الفرد مساوية لحياة الانسانية جمعاء، كما قال في قوله تعالى ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ النساء 29، أي لا يقتل بعضكم بعضا ولا يسفك بعضكم دماء بعض.

قيمة الاخوة الإنسانية والتسامح والتعايش: إن الاخوة الإنسانية دائرة تسع الناس أجمعين، ورابطة بشرية وثيقة لا يمكن نقضها أو انكارها (والناس بنو آدم) ربهم واحد وتبرز أهمية الاخوة الإنسانية والتسامح والتعايش في عدد من النقاط أهمها: أنها قيمة أصيلة في الإسلام، فالإسلام حرص على بث روح الاخوة الإنسانية في المجتمع، ونبذ التعصب الديني والهوي، لتقليص حجم التوترات القائمة على أسس دينية أو جهوية، والعمل على تطوير أفاق للعيش الإنساني المشترك والتسامح بما يحقق الخير للجميع والإنسانية جمعاء.

الصبر والشكر: يحظى كل من الصبر والشكر بمكانة محورية في منظومة القيم الإنسانية، لما لهما من دور جوهري في تهذيب النفس، وتقوية الإيمان وتحقيق التوازن في علاقة الإنسان بخالقه، فقد قرن الله تعالى بين الصبر والشكر في مواضيع متعددة من القرآن الكريم لما يشكله كل منهما من مظهر الوعي الروحي والأخلاقي. وقد مدح الله الصابرين في كتابه ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ الزمر 10. فالصبر يعد من أعظم القيم التي رسخها الإسلام في النفس البشرية، إذ يشكل أساسا في بناء الشخصية المؤمنة على مواجهة التحديات بثبات وإيمان، فالصبر قرين الإيمان وشرط للفوز برضا الله يقول الله تعالى: ﴿وبشر الصابرين﴾ البقرة 155. إن الشكر من القيم الأخلاقية العميقة في الإسلام، إذ يعبر عن وعي الانسان بنعم الخالق واعترافه بفضل الله عليه، وقد ربط القران بين الشكر وزيادة النعم في قوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ إبراهيم7، وقوله كذلك (وقليل من عبادي الشكور) سبأ 13.

وتبرز أهمية الصبر في حيث أمر الله نبيّة محمدا بالصبر فقال عزوجل: ﴿فاصبر صبرا جميلا﴾ المعارج 5 يعني صبرا لا جزع فيه، يقول له اصبر

على الأذى، ولا يثنيك ما تلقى من المكروه عن تنفيذ ما أمرك ربك لإيصال رسالته. وقال سبحانه: ﴿واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾ يونس 109.

الجانب التطبيقي:

– **القيم الإنسانية في خطاب أبي عبيدة:** وفي هذا الجزء من الدراسة سنتحرى القيم الإنسانية الموجودة في خطاب معركة طوفان الأقصى لصاحبها أبي عبيدة، مع التركيز على أهمية هذه القيم في بناء خطاب المقاومة الفلسطينية، ومدى تأثيره في تعزيز وحدة وصمود الشعب في مواجهة المحتل الصهيوني.

– **قيمة الصبر والثبات:** إن الصبر يعد من القيم الإنسانية التي حظيت بمكانة هامة في مختلف الأديان والثقافات والفلسفات، وهو من القيم الجوهرية التي نشهدها في الخطاب العربي الإسلامي، لما لها من وقع خاص على نفوس البشر، فالخطاب الذي يحمل قيمة الصبر لا يكتفي فقط بالحث عليه، وإنما يفعل هذه القيمة في بنية القول ليحدث أثرا في وجدان المتلقي، وتتجلى هذه الوظيفة التداولية لقيمة الصبر في خطاب أبي عبيدة الناطق العسكري لحركة حماس في معركة طوفان الأقصى، التي مثلت نقطة مفصلية في تاريخ الصراع الفلسطيني الصهيوني، فقد تميز خطابه بحمولة دينية ونضالية مكثفة، جعلت من الصبر محورا بلاغيا يخاطب به الجماهير الفلسطينية والعربية والإسلامية حيث نجد في خطاب أبي عبيدة يستفتح قوله بعبارة **(حمدا للصابرين المجاهدين الثابتين)**، ما يرسخ الصبر كقيمة إنسانية وإيمانية في وجه المعاناة والمحتل الصهيوني، وهذا القول يوظف الصبر كأداة لتحفيز الشعب الفلسطيني على الكفاح ضد المحتل، مما ينتج اجماعا وجدانيا حول مشروعية الاستمرار وشرعية المقاومة في مواجهة الكيان الصهيوني، وقد قرن الله تعالى الصبر

بالنصر في مواضيع كثيرة منه قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ أل عمران 200، وفي الحديث الصحيح وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر رواه البخاري، هذا الربط بين القيم الدينية والواقع النضالي يمنح الخطاب بعدا قدسيا، ويعيد إنتاج التصورات الايمانية داخل سياق المقاومة، فيغدو الصبر شكلا من أشكال العبادة السياسية والاجتماعية. مستشهدا بسنن قرآنية (إن مع العسر يسرا)، مما يضفي على الصبر طابعا قدريا ومشروعا إلهيا، هذه القيمة تمارس دورا تداوليا داخل الخطاب، فهي تفعل ألية التثبيت داخل الخطاب، أي تقوية قدرة المتلقي على الصمود النفسي والمعنوي، واستمرارية الانخراط في الفعل المقاوم رغم مشاهد الموت والدمار والخسارة. وبهذا المعنى فإن قيمة الصبر لا تخاطب فقط العقل الاستراتيجي للمتلقي بل تشحن وعيه الداخلي بطاقة روحانية تبقيه متماسكا بقضيته الأساسية تحرير فلسطين من أيدي المحتل المعتدي المغتصب لأرضه، ومن هنا تتجاوز هذه القيمة وظيفتها التعبيرية لتغدو قيمة حجاجية وتعبوية تستخدم لتأطير المعاناة ضمن مشروع كفاحي طويل النفس، وهو ما تؤكده نصوص شرعية مثل قوله (إن الله مع الصابرين)، ومن العبارات كذلك(يا جماهير شعبنا المرابط الصابر ... الذين لا ينحنون ظهورهم إلا لربهم...)، جملة توحي إلى تعزيز صلابة الشعب في وجه تعزيز الصلابة والقصف من خلال التمجيد بثباتهم وتقديمهم كقدوة لأحرار العالم. ومن الاستشهاد بالحديث النبوي قول رسول الله صل الله عليه وسلم (واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب..). مؤكدا أن النصر مفتاح الفرج وشرط تحققه، ويؤكد على ان النصر مفتاح وشرط تحققه.

قيمة الحرية والعدالة: تعد قيمة الحرية والعدالة من القيم الأخلاقية والحقوقية التي تنظم علاقة الانسان بذاته، وبالأخرين وبالسلطة، فالحرية ليست مطلبا سياسيا أو قانونيا، وإنما حالة وجودية تعبر عن كرامة الانسان، وحقه في

تقرير مصيره، والتحرر من القهر والاستعباد، وهذا ما ورد على لسان أبي عبيدة في خطابه **(لم نكن يوما طلاب حروب ودمار، وكان الأولى بصهاينة الغرب أن يعترفوا بحقوق شعبنا..)**، فيبرز هنا صاحب الخطاب أن الهدف ليس العدوان، بل التحرر منه والعيش بكرامة وعزة في أرضه، مشيرا إلى أن الغاية من هذا القتال مع العدو الصهيوني هو نيل الحرية وتحقيق العدالة، مبررا قوله في قوله تعالى: ﴿ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين﴾ "النساء 75" وهو توجيه شرعي يدعو للدفاع عن المظلومين والمغلوبين على أ مرهم جراء ما تفعله ألة الكيان الصهيوني في شعبهم، فالحرية عنده ليست هدفا سياسيا فحسب، بل فريضة أخلاقية دينية كما قال (عمر بن الخطاب): (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟)، فهذه القيمة غرضها إبطال أكاذيب العدو الصهيوني في تشويه صورة المقاومة، وذلك بإظهار بعدها الإنساني العادل. يعد العدل أساسا ثابتا يعمل على استمرارية في حياة البشر الاجتماعية والسياسية.

تعد الحرية في مفهوم عام على أنها حالة تتيح أو تسمح للأفراد باتخاذ قراراتهم وتحقيق طموحاتهم دون تدخل أو حتى قيود خارجية، كما أنها تعزز التنمية الشخصية وتعد أساس للديمقراطية والتعايش السلمي[10].

قيمتا الشهادة والنصر: ترتبطان بأعمق مفاهيم التضحية والكرامة والتحرر فالشهادة تمثل ذروة القيم الإيماني والوجودي، حيث يقدم الإنسان نفسه فداء لوطنه من أجل مبدأ أعلى ولقضية عادلة، أو لتحرير أرض، أما النصر فهو تحقق لوعد الله وثمرة لصبر المؤمنين، فهاتان القيمتان حاضرتان بقوة في خطاب أبي عبيدة، والغرض منهما ليس التمجيد فحسب، بل لأداء أغراض تداولية انجازية متعددة، ومن العبارات على ذلك **(وستكون كل قطرة دم زكية سالت من شهيد أو جريح في هذه الحرب المقدسة شاهدة على النصر...)** ما

يؤكد على تقديس التضحية في سبيل الحق والحرية، ومن العبارات التي تدل على النصر في جملة (السلام على شهداء شعبنا العظماء الذين يرتقون في كل يوم فداء لدينهم ووطنهم وقدسهم...)، والغرض التداول وترسيخ ثقافة الاستشهاد كمصدر للفخر وتثبيت الجماهير على خط المقاومة، عبر تقديم الشهداء كرموز مضيئة، مستشهدا من خطاب القرآن الكريم في قول المولى عزوجل: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا، بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ "آل عمران 169".

فتعد الشهادة أسمى القيم التي تتجلى في الخطاب المقاوم، وقد وردت بشكل بارز في تقديم التحية لأرواح الشهداء الذين يرتقون في كل يوم فداء لدينهم ووطنهم وقدسهم، حيث يتبنى الخطاب تصورا بطوليا للشهادة، حيث يقدمها الملقي بوصفها ذروة التضحية تؤسس لمعادلة تفوق معادلات السلاح وكل ما هو مادي، وكل هذا من أجل تحسيس الشعب الفلسطيني أن الشهداء لا يموتون بل يصنعون الحياة وأحياء عند ربهم يرزقون، وهو توظيف يحمل دلالة تعبوية لحشد الجماهير للانضمام إلى المقاومة، مع تحمل الصبر والتضحيات، وتقديم صورة إيجابية عن الموت في سبيل الوطن. فنجد في خطاب أبي عبيدة يكثر من الأساليب البلاغية وذلك من خلال التكرار في بعض الكلمات" المجاهد، الشهيد، تحية للشهداء، يرتقون كل يوم"، فالغرض من ذلك خلق جو من العاطفة حيال الشعب لترسيخ شرعية المقاومة، وتثبيت رمزية الاستشهاد ضمن الوعي الجمعي.

– **قيمة الوحدة والتضامن:** نجد في خطاب المقاومة الفلسطينية ورود الكثير من القيم الإنسانية على لسان أبي عبيدة ومن ذلك ما يتعلق بقيمة التضامن والوحدة التي كان يدعو إليها خطاب المقاومة **(نعيش آلامه وآماله...)**، وهو قول يعكس مدى ارتباط قيادة حماس بشعبها ومشاركتها الألآم والمعاناة نفسها مما يدل على توطيد اللحمة العاطفية والمعنوية بين الطرفين، فيشير أبي عبيدة

أن المقاومة تتقاسم مع الشعب الشعور نفسه، وبأنها جزء منه، مبررا قوله في ذلك ان الإسلام أرسى هذه القيمة قي قول رسول صل الله صل الله عليه وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) رواه مسلم، وفي كتاب المولى عز وجل ﴿ويؤثرون على أنفسهم كأن بهم خصاصة﴾، فهذا الخطاب يحمل دلالة حجاجية تهدف إلى استنهاض الحس الجمعي وربطه بالمصير المشترك ،مما يلغي المسافة النفسية ويعيد بناء الثقة بين الطرفين، وتستخدم هذه القيمة لتحقيق الاندماج الرمزي والعملي. **وفي عبارة أخرى نجد (فنحن على يقين تام بأن أحرار العالم هذه الأمة إن هبوا هبة رجل واحد...)**، والغرض من هذا القول هو الدعوة إلى رص الصفوف وتوحيد الجهود مشيرا في ذلك إلى قول الرسول صل الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا...) في تأكيده مرة أخرى أن التلاحم والتماسك بين صفوف الامة العربية هو الشرط الوحيد للنصر. كما يستحضر قول الله: ﴿إن الأرض يرثها عبادي الصالحين﴾ الأنبياء 105"، وهذا من أجل تأكيد الامتداد الديني والقيمي للانتماء الفلسطيني.

قيمة الوفاء والمسؤولية وفض الظلم: ومن ذلك في عبارة **(نحن مع شعبنا في ذات الخندق، وسنتقاسم معه لقمة الخبز وشربة الماء..)**، وهو خطاب بعكس روح المسؤولية حيال القضية الفلسطينية، فأبي عبيده هنا يؤكد صراحة الوقوف مع المظلومين حيث تعهد الله بنصرتهم في قوله: ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ القصص 37، وكذلك في قول رسول الله (اتقوا دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب) رواه البخاري، فهذه القيمة توظف في الخطاب لإثارة التعاطف مع المتلقي، وكذلك فضح الممارسات الغربية ووقوفها إلى جانب الكيان الصهيوني، فهذا القول يرفض رفضا قاطعا الظلم المفروض على الشعب

الفلسطيني والتعدي على المساجد والمستشفيات، والغرض التداولي من ذلك أن العدل ليس مطلبا قانونيا محضا، بل هو قيمة كونية إنسانية تتصل مباشرة بالإنسان في الحياة والكرامة، فهذه القيمة تهدف إلى تحريك الشعور العالمي الأخلاقي لدى المتلقي العربي والدولي من أجل اتخاذ موقف موحد ضد الكيان الصهيوني، وفضح الصمت العالمي واللامبالاة للمؤسسات العالمية مما يحدث في فلسطين من قتل وتجويع وإبادة جماعية مكتملة الأركان، وتقديم القضية الفلسطينية كقضية إنسانية عادلة تستحق النصر. حيث يستشهد في خطابه بالقرآن الكريم ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ هود 113، لتبيان أن الوقوف على الحياد في ظل الظلم، هو في حد ذاته تورط أخلاقي. تستمر معاناة الشعب الفلسطيني الذي يمنعهم من الحصول على حقوقهم الإنسانية ويهدد الأمن الإنساني ويقف حجر عثرة أمام إحراز أي تقدم ملموس على الصعيد التنمية البشرية[11].

-**قيمة الإنسانية الشاملة:** وذلك في عبارة (يا كل أحرار العالم...)، وهي دعوة عالمية لصحوة الضمير الإنساني، ومساندة القضية الفلسطينية، فهنا أبي عبيدة يدعو في كلمته البشرية قاطبة المشاركة في الدفاع عن القيم الإنسانية السمحاء، وهو ما يضفي عليه صبغة الخطاب الكوني الذي يجد جذوره في قوله تعالى: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى..﴾، ويجد تأكيده في قول النبي، (فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله) رواه البيهقي، فهذه الوظيفة تفتح المجال لدعم ومساندة الشعب الفلسطيني. وظيفيا هذه القيمة تفتح مجالا لحشد دعم أممي وتضامن عالمي للقضية الشعب الفلسطيني.

قيمة الاعتراف ببطولة الآخرين: أعظم تحية عسكرية جهادية لا يمكن أن يستحقها أحد، كما يستحقها شعبنا في غزة..)، خطاب يقدر تضحيات الاخرين ويكرم جهودهم ويثمن دورهم النضالي كما جاء في خطاب آخر(**فأي كلمات لا يمكن أن تفي شعبنا الأسطورة حقه)**، مما يدل على التقدير العميق

لمكانة الشعب، والاعتراف ببطولة الآخرين يسهم في تعزيز الهوية الجمعية والانتماء وقد أرسى الإسلام هذا المبدأ في قول النبي ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويعرف حق صغيرنا) رواه أحمد، وهذ المديح المتكرر في النص يخدم وظيفة تداولية غرضها تقوية المعنويات رفع وخلق شعور الفخر والانتماء الجمعي. فكان صل الله عليه وسلم يتعامل مع نفوس بشرية مكرمة، لا تجوز إهانتها أو ظلمها أو التعدي على حقوقها أو التقليل من شأنها، وهذا واضح في آيات القرآن الكريم وكذلك في حياة الرسول صل الله عليه وسلم[12]. فالمولى تعالى عبر بالنفس وهذ الكلام مطلق تدخل فيه النفس المؤمنة وغير المؤمنة وكما حرمه تعالى عن نفسه جل وعلا حرمه كلك على البشر جميعا، جاء في الحديث القدسي عن النبي صل الله عليه وسلم – عن ربه أنه قال: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالمون)[13].

مراعاة العدل عند التعامل مع الأعداء: إن الامر بالعدل في الإسلام أمر عام ينطبق في كل حين وعلى كل إنسان، وبالنسبة لكل مكان لذلك فكل علاقة إنسانية في الإسلام تقوم على تحقيق العدالة واعتبار الناس جميعا سواء، وإن كان ثمة تفاضل في التقوى والعمل الصالح، والعدل هو الميزان الذي أنزله الله سبحانه مع الكتاب لتستقيم شؤون الانسان فالعدالة في الإسلام لا تعرف تمييزا يستند إلى الدين أو الجنس أو اللون أو القرابة. كما حذرت الشريعة الإسلامية من كل ألوان الاعتداء، قال تعالى: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصآكم به لعلكم تعقلون﴾[14].

خاتمة: في ختام هذه الدراسة تبين لنا أن أبي عبيدة يستعمل القيم الإنسانية ليس مجرد مفاهيم أخلاقية، بل أدوات إستراتيجية في بناء الهوية الوطنية وتحقيق الانتصار المعنوي والنفسي للشعب الفلسطيني أمام التحديات الكبرى التي يواجهها، وذلك من أجل تحفيز الوعي الجمعي للشعوب العربية

والإسلامية، لتعزيز مشاعر الوحدة والانتماء إلى القضية الفلسطينية. فأبي عبيدة في خطابه استخدم وبمهارة عالية القيم الإنسانية مثل (الصبر، الشهادة الكرامة، ونصرة المظلوم...) كأدوات رئيسة لتوجيه الخطاب المقاوم، مما أسهم في ترسيخ الهوية الفلسطينية، إلى جانب ذلك تحفيز الجمهور وتوجيههم نحو المشاركة الفعالة في دعم المقاومة الفلسطينية ومشروعيتها أخلاقيا وسياسيا وقانونيا، للدفاع عن مقدساتهم الدينية والتاريخية. وما يمكن قوله أن الخطاب المقاوم له أهمية كبيرة في تشكيل الهوية الوطنية، وتعزيز روح المقاومة الفلسطينية، وإعادة رسم صورة للمواطن الفلسطيني والعربي على أن المقاومة حق مشروع للدفاع عن أرضهم ضد المحتل المعتدي.

كما أظهرت الدراسة أن الأساليب البلاغية التي اعتمد عليها أبي عبيدة مثل التكرار، والاستفهام، تسهم بشكل كبير في تعزيز قوة الخطاب، وجعل الحجج التداولية أكثر قبولا وتأثيرا على المتلقي، فهذه الأساليب تسهم في التأكيد على مشروعية المقاومة العادلة.

قائمة المراجع:

1- أحمد حمدي أحمد علي، القيم الإنسانية للحرب في الإسلام ودورها في عصمة الدماء، فتح مكة نموذجا

2- أحمد حمدي أحمد، مجلة الفرائد في البحوث الإسلامية والعربية، العدد 47، ديسمبر 202.

3- محمد بن دليم بن سعد القحطاني، القيم العسكرية الإسلامية، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية.

4- العميد عاشوري، الانحراف عن القيم الأسرية، ط1، 2000م.

5- منصف داقشي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ط1، 2017م.

6- راجع في التنظيمات الوضعية لحماية الإنسان، للكاتب: القانون الدولي العام الطبعة الخامسة، دار النهضة العربية، 2005م.

7- القيم الكبرى في الإسلام، إعداد جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية، الإمارات 2024م-2025م، ط1.
8-البشير الابراهيمي، الاستراتيجية الخطابية في خدمة القيم الإنسانية،2000م، ط2.
9- دليلة شايب، القيم الإنسانية في حروب النبي صل الله عليه وسلم، كلية الشريعة جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة.
10 -دليلة شايب، القيم الإنسانية في حروب النبي صل الله عليه وسلم، كلية الشريعة جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة.
2-القرآن الكريم:
1- سورة يونس الآية 25.
2- سورة الانفطار الآية 06.
3- - سورة النمل الآية 40.
4- سورة الإسراء الآية 40.
5- سورة النساء الآية 29.
6- سورة الزمر الآية 10.
7- سورة سبأ الآية 13.
8- سورة آل عمران الآية 200.

الهوامش:

1. أحمد حمدي علي، القيم الإنسانية للحرب في الإسلام ودورها في عصمة الدماء، فتح مكة نموذجا أحمد حمدي أحمد، مجلة الفرائد في البحوث الإسلامية، العدد 47، ديسمبر 2024م، ص 688.

2. المرجع نفسه، ص688.

3. محمد بن دليم بن سعد القحطاني، القيم العسكرية الإسلامية، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، ص 307.

4. العميد عاشوري، الانحراف عن القيم الأسرية، ط1، 2000م، ص 73.

5. منصف داقشي، مجلة الدرسات والبحوث الاجتماعية، ط1، 2017م، ص 81 و72.

6. راجع في التنظيمات الوضعية لحماية الإنسان، للكاتب: القانون الدولي العام، الطبعة الخامسة، دار النهضة العربية، 2005م، ص129 و146.

7. القيم الكبرى في الإسلام، إعداد جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية، الإمارات 2024-2025، ط1، ص 218.

8. البشير الإبراهيم، الاستراتيجية الخطابية في خدمة القيم الإنسانية، 2000م، ط2 ص22.

9. المرجع نفسه، ص220.

10. البشير الابراهيمي، الاستراتيجية الخطابية في خدمة القيم الإنسانية،2000، ط2 ص22.

11 .البشير الإبراهيمي، الإستراتيجية الخطابية في خدمة القيم الإنسانية، ط2، 200 ص22.

12. سورة الأنبياء الآية 3.

13. دليلة شايب، القيم الإنسانية في حروب النبي صل الله عليه وسلم، كلية الشريعة جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، ص 303.

14. الأنعام الآية، 151.